خمسون سنة من المقاومة (١٩١٧ ــ ١٩٦٧) في الفولكلور الفلسطيني

نمر سرحان

القسم الاول : ايام الانتداب البريطاني

الواقع ان الارض الفلسطينية عرفت المقاومة منذ ان عرفت الاحتلال البريطاني وما انطوى عليه من تعاطف وانحياز لجانب الصهيونيين . وكانت هذه المقاومة ايجابية بالنضال المسلح الدامي وسلبية بأسلوب التظاهرات والاحتجاجات . ومنذ عام ١٩١٧ الذي صدر فيه وعد بلفور والذي جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود ونظر للعرب على أنهم جماعات غير يهودية مقيمة في فلسطين بدأ الشعب العربي الفلسطيني يسجل اولى احتجاجاته ويمارس ارادته الشرعية في رفض الاستيطان والهجرة اليهودية والتحكم الاستعماري في فلسطين . منذ ذلك العام اشار الوجدان الشعبي الفلسطيني باصبع الاتهام للحلفاء الذين حارب معهم ضد الحكم العثماني . لقد أحس الوجدان الشعبي اذ ذاك بخيانة اصدقاء الامس وأحس بسقوط أولى الاقنعة عن الوجوه المتآمرة وبذلك عبر بهذه الكلمات التي لا تنسب الى شخص معين بعينه وانما هي تراث الجماعة والتعبير الصادق عن رأيها الواضح الصريح :

وعد بلفور هالمشؤوم جائر ... على الاسلام والرهبان جائر
تناسى العدل واضحى الظلم جائر ... ملوك الغرب وما فيهم رجا

وفوجئت الجماهير العربية بفرض الانتداب والتحكم الاستعماري على أقطار الوطن العربي ومنها فلسطين . ومع ذلك فقد تشبثت الجماهير برفض القهر القومي الذي مارسه حلفاء الامس ازاءهم . وفي فلسطين تركزت المطالب القومية برفض الانتداب والهجرة الصهيونية ووعد بلفور والمناداة بتحرير فلسطين ضمن الوحدة العربية السورية . وفي ذلك الوقت كان سكان فلسطين ٧٠٠ الف نسمة منهم ٥٦ الف يهودي لا يملكون سوى ٢ ٪ من الاراضي الزراعية . وقد كانت اهمية اليهود من الضآلة بحيث ان أحدا ما لم يلتفت الى تسللهم الذي تزايد في الفترة ما بين ١٨٨٢ ــ ١٩١٣ ولم يكن احد يشعر بخطرهم. وعن ذلك يكتب أحمد الشقيري في مذكراته : « ولقد كانت المعالم هي المعالم من غير تغيير يذكر ، فالقرى العربية بأهلها واصحابها والسهول يعمل فيها الفلاحون العرب وهم يهزجون رجالا ونساء ، والرعاة يسوقون مواشيهم والمزمار يرسل الحانه عبر الفضاء ولا ترى على امتداد البصر الا يهوديا واحدا او اثنين هنا او هناك . وكذلك فان القطار على تعدد عرباته وازدحام ركابه لم يكن فيه الا نفر قليل من اليهود ، جلهم او كلهم من اليهود القدماء ، فقد كان اليهود في ذلك العهد (١٩٢٤) لا يتجاوزون سبعين الفا معظمهم من اليهود الاوائل »(١). كما يذكر احمد الشقيري في مكان آخر من مذكراته ان (العرب في يافا كانوا يؤون اليهود في ثورة ١٩٢٠ ، ١٩٢١) .